المنهج القرآني
في دفع هلاك الأمم
(نماذج من سورتي هود والأعراف)

The Qur'anic Approach To Repel The Destruction Of Nations

(Examples Of Surat Hud And Al-Aaraf)

م. شعيب رعد فرهود

M. Shoaib Raad Farhoud

كلية الإمام الأعظم رحمه الله الجامعة

College Of The Great Imam (May God Have Mercy On Him) University

ملخص البحث

وضع الله تعالى للبشريَّة منهاجاً ما أنْ سارت عليه حتى نَجَت وحَلّ فيها الخير والأمن، وما أنْ تَخلّت عنه حتى هَلكت وحَلّ فيها البَلاء ونَزلتْ العقوبة، فها هو القران الكريم يستعرض لنا في كثيرٍ من سوره الكريمةِ حالَ الأمم التي تمتثل لمنهج ربِّها من عدمه، لنرى كيف سار القران الكريم بمنهجه ودفع الهلاك، لئلا يسقط المجتمع في هاوية العقاب فتهلك الأُمّة.

Abstract:

God has set a path for humanity to go to it until it survived and the solution of good and security, and as soon as it abandoned it until it perished and resolved the scourge and the punishment came down, it is the Holy Quran shows us in many of the Koran the state of the nations that comply with the approach of the Lord or not, to see how The Holy Quran went by its method and propelled destruction, lest society fall into the abyss of punishment and destroy the nation.

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين حَمداً طَيّباً مُبَارَكاً فيه مِلءَ السَماءِ وملءَ الأرضِ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبة اجمعين.

أمّا بعد؛ فإنَّ المتتبع لآيات القرآن الكريم يقف منها على حقائق غاية في الأهمية، إذ بَيّنَ الله لنا ما يَنفع الأُمّة وما يَضرّها على الأصعدة السياسيَّة والإقتصاديَّة والإجتماعيَّة ناهيكَ عن الروحِ وكيف يسمو بها إلى أعلى مراتبها، إذْ إنّ الله خلقَ الخليقة لأجل غاية عظمى، وهو توحيد الله تعالى وأنْ لا يُعبد سواه، حيث قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1] ، فهي الغاية الأسمى التي من أجلها خُلقَ الإنسان، وما يترتب على تلك العبادة من حمل الأمانة التي أبَىَ خلقٌ غير الإنسان حملها، لِمَا لها من رسالةٍ بليغةٍ وجِبَ على الأنسان أنْ يُبلّغها، فقد بَيّنَ الله تعالى ذلك، فقال: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[2]، وبذلك وَضَعَ الله تعالى ضوابط ومنهج للأمم والأفراد ما إنْ ساروا عليه حتى حققوا الغاية والمراد من خلقهم.

- **أهمية الموضوع:**

بالرغم ما تحمله هذه الأمّة من إيمان صادق، وعقيدةٍ راسخةٍ، إلا أنَّها انحدرت منحدراً خطيراً، يجعلنا أمام مسؤولية كبرى وهو الرجوع إلى منهج القرآن، والبحث عن دلائل النجاة فيه لننهل منه ما يرشدنا إلى طريق السِمو والرشد، هنا تكمن أهمية بيان منهج القرآن وكيفية تفادي الهلاك بالنسبة للفرد أو المجتمع.

- **أسباب إختيار الموضوع:**

تبين لنا سابقا أهمية الموضوع وقد سَلطتُ تركيز البحث على سورتي هود والأعراف لِما فيهما من تشابه كبير، فقد اشتركتا في سَردِ أغلب القصص للأمم التي تَعرّضتْ للهلاك، بشيء من التفصيل، وتتميّزا أيضاً بالتركيز على العبرة في نهايتهما، بينما استعرض لنا القرآن الكريم في سورٍ أخرى حال الأمم التي تمتثل لمنهج ربها من عدمها وما تؤول إليه حال انسلاخها عن نهجه القويم، فبينت بعض سوره هَلاك الأمّم حال اقترافها المنهيات، كسورة البقرة والمؤمنون والعنكبوت وهود، والأعراف والشعراء ويونس وطه ونوح والفرقان والقصص وغيرها من السُّور.

---

(١) سورة الذاريات الآية ٥٦.

(٢) سورة الاحزاب الآية ٧٢.

- **الدراسات السابقة:**

موضوع بحثنا واسع ومميَّز، لا تحدهُ دراسة فدائرته كبيرة تشمل الكثير من موضوعات القرآن الكريم إلا أنَّ اغلب الدراسات التي اطلعت عليها بيَّنت اسباب الهلاك للأمم، كما استعرضها القرآن الكريم، إلا أنَّ المميَّز في بحثنا هو اضافة منهجية القرآن في كيفية دفع هذا الهلاك، ببيان موجبات النجاة، وما يجب على المُسلم تفاديه.

- **منهج البحث:**

اقتضت منهجية البحث أن أذكر الأسباب مختصرةً دون إطالة،-لوجود دراسات سابقة- إلا إذا اقتضت الضرورة إلى التوسع نوعاً ما، بعكس بعض المطالب التي توسعت فيها بشيء من التفصيل، خاصة في بيان منهج الارتقاء بالمجتمعات وموجبات نجاتهم فكان منهج بحثنا أن يكون على مبحثين، أمّا المبحث الأول: فقد كان في تعريف المَنْهَج واشتقاقاته وهو على مطلبين المطلب الأول: في تعريف المنهج لغةً واصطلاحاً، وأمّا المطلب الثاني: فكان عن الألفاظ ذات الصلة والفروق اللغوية، وأما المبحث الثاني: فقد جعلته على مطلبين، فجاء المطلب الأول: عن موجبات الهلاك عموماً والمطلب الثاني: تكلمت فيه عن موجبات النجاة عموماً، ثم ختمت بحثي بخاتمة بَيّنت فيها أهم النتائج التي توصلت اليها. وقد سَلكتُ في بعض جزئيات البحث بشيء من الإختصار، فبينّت الخطوات الرئيسة دون الخوض بتفاصيلها الدقيقية، لئلا يلتبس على القارئ الكريم بعض التداخلات في المفاهيم والمفردات.

وأخيراً، اسأل الله التوفيق والسداد إنّه وليّ ذلكَ والقادر عليه.

المبحث الأول

التعريف بأهم مصطلحات البحث

غالباً لا يمكننا الوقوف على معنى أي بحثٍ، وتحديد المقصود منه بشكل عام، ما لم يكن هناك تعريف لمفرداته الرئيسة، ليتضح المراد منه، وها أنا ذا أذكرُها، من خلال الآتي:

- **المطلب الأول: تعريف المنهج**

المَنْهَج: (لُغَةً) نَهَجَ: طَريقٌ نَهجٌ: بَيّنٌ واضح، وهو النَهَجْ؛ وطُرُقٌ نَهِجَةٌ، وسَبيلٍ مَنْهَجٍ: كنَهْجٍ. ومَنْهَجَ الطَريقُ: وَضّحَهُ.[١]

والمِنْهَاجُ: كالمَنْهَجْ، وفي محكم التنزيل: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[٢]، وأنْهَجَ الطريقُ: وَضَحَ واسْتَبانَ وصَارَ نَهْجَاً واضِحَاً بَيّناً، واسْتَنْهَجَ الطريقُ: أي: صَارَ نَهْجَاً[٣].

(اصطلاحاً): هو مجموعة الركائز والأسس المهمة التي توضح مسلك الفرد أو المجتمع أو الأمة لتحقيق الآثار التي يصبو إليها كل منهم[٤].

بمعنى: هو السياق التي سارت عليه الآيات القرآنية، لتوضيح أوامر الله ونواهيه ليسمو من خلاله بالبشريَّة إلى مراد الله تعالى عن طريق الأنبياء والرُّسل، فعن عكرمة قال: قال العباس(رضي الله عنه): لأعلمنَّ ما بقي رسول الله ﷺ فينا..، إلى أنْ قال: وترككم على مَحجّة بينّة وطريق ناهجة[٥].

---

(١) ينظر: كتاب العين- لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ) المحقق: د. مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي- الناشر: دار ومكتبة الهلال. مادة (ه ن ج) ٣٩٢/٣

(٢) سورة المائدة من الآية ٤٨

(٣) ينظر: العين مادة (ه ن ج) ٣٩٢/٣، ومختار الصحاح- لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد- المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا- ط٥، ١٤٢٠هـ، مادة: (ن ه ج) ٣٢٠/١ ولسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ) دار صادر – بيروت – ط٣ ١٤١٤هـ. ٣٨٣/٢

(٤) ينظر: العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي ومعالم منهجه الأصولي- مجلة البحوث الإسلامية: ٣٠٠.

(٥) رواه إسحاق ورجاله ثقات إلا أنه منقطع، ورواه الطبراني من طريق ابن عيينة، عن أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن العباس، فهو متصل صحيح الإسناد. ينظر: إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة ٢٥٧/٢ برقم ٢٠٣٨.

- دَفع: (الدفع) يقال: دفعت عنه كذا وكذا دفعاً ومدفعاً، أي: منعتُ. ودافع الله عنكَ المكروهَ دفاعاً[١].

- الأمم: جمعُ أمةٍ والأُمة: القرن من الناس؛ يقال: قد مضتْ أُمم، أي: قرون. وأُمة كل نبي: من أرسل إليهم من كافر ومؤمن. وكل قوم نسبوا إلى نبي فأضيفوا إليه فهم أمته، وقيل: أمة محمد، (صلى الله عليهم وسلم)، كل من أرسل إليه ممن آمن به أو كفر، قال: وكل جيلٍ من الناس هم أُمة على حِدة[٢].

- اصطلاحاً: هو كل جماعة يجمعها أمر، إما دين أو زمن أو مكان واحد، سواء كان الأمر الجامع تسخيراً أم اختياراً[٣].

- **المطلب الثاني: ألفاظ ذات صلة بالمَنْهَجِ ذُكرت في القرآن:**

أولاً: الالفاظ ذات الصلة: منها:

الشِرعة: ذُكرت عند قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[٤].

وقوله تعالى أيضاً: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ﴾[٥].

فمفهومها في (اللُغَةً): هو ابتدَاءُ الطَريقِ، والشِرْعُ: الأوتَارُ، واحدها شِرْعَة. والشُّرّاعُ: جَمعُ الجَمعِ. والشِراعُ: شِراعُ السفينة. والشَرِيْعَةُ: مَوْرِدُ الشَارِبة. والناس في هذا شُرْعٌ سواء. وشَرْعَكَ بسكون الراء، أي: كافيك. والشرعة: الدين، شِرْعَةُ الله عز وجل[٦].

أمَّا في الاصطلاح: فالشِرْعَةُ والشَرِيْعَةُ: هي الطريقة الظاهرة التي يتوصل بها إلى النجاة، أو هو ما شَرَعَ اللهُ للعبادِ مِنْ أمرِ الدْين، وأمرهم بالتمسك به من الصلاة والصوم والحج .... الخ، وما نهاهم عنه من الزنا والخمر والاعتداء والظلم ...الخ.[٧]

---

(١) ينظر: كتاب العين ٤٥/٢، وتهذيب اللغة ١٣٤/٢

(٢) ينظر لسان العرب، فصل (الالف) ٢٦/١٢

(٣) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف- لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت١٠٣١هـ)، عالم الكتب-القاهرة، ط١، ١٤١٠ه. ٦٢/١

(٤) سورة المائدة من الآية ٤٨.

(٥) سورة الشورى من الآية ١٣.

(٦) ينظر: مجمل اللغة- مادة (الشين والراء وما يثلثهما) .١/ ٥٢٦، والمحكم والمحيط الاعظم ٣٧٠/١.

(٧) ينظر: التعريفات الفقهية لمحمد عميم الإحسان المجددي- دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ)-ط١، ١٤٢٤هـ ١٢٢/١، والجامع لأحكام القرآن= تفسير القرطبي- لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)- تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش-دار الكتب المصرية – القاهرة-ط٢ ١٣٨٤هـ.

ثانيا: الفرق بين الشِرْعَة والمَنْهَج:

ذهب أهل التأويل في بيان مفهومهما ومدلولاتهما، حيث قال ابن عباس: شرعةً ومنهاجاً -فرائض وسُنن[١]-، وقال قتادة[٢]: شرعةً ومنهاجاً -الدين واحد والشريعة مختلفة-[٣]. وقال الفراء[٤]، أي: (على دين ومِلّة ومنهاج، وكل ذلك يقال)[٥]. وقال القتيبي: على شريعة، على مثال ومذهب.[٦] فيتضح أنَّ المعنيين متقاربين.

المنهج والمنهاج: الطريق الواضح، ثم استعير للطريق في الدين كما استعيرت الشريعة لها، والشِرعة: بمعنى المنهاج[٧].

وقد ذهب المفسرون على نقل مرويات عن بعض الصحابة في تفسير تلك المفردتين فقد روي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه سُئل عن {الشرعة والمنهاج} فقال: الشِرعة الدين، والمنهاج: الطريق، وكذلك أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن قتادة في قوله {لكل جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً} يقول: سبيلا والسُّنن مختلفة للتوراة شريعة وللإنجيل من يطيعه ممن يعصيه ولكن الدين الواحد الذي لا يقبل غيره التوحيد والإخلاص الذي جاءت به الرُسل[٨].

وروي عن ابن عباس (رضي الله عنه) أن الشرعة: ما ورد به القرآن، والمنهاج: ما وردت به السنة ويؤيده قوله تعالى ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾[٩]، إذ العطف ظاهرٌ في المغايرة إيثاراً للتأسيس على التأكيد[١٠].

مما تقدم يتبين أنّ مفهوم الشِرْعَة ودلالاتها تعطينا مفهوماً متقارباً جداً من مفهوم المنهاج ودلالاته وكأنه ترابط متقارب من المعاني والمفاهيم، إذ أنَّ المنهاج هو الطريق الموصل إلى الشِرْعَة.

٢١١/٦.

(١) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ٩٥/١.

(٢) وهو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري: مفسر حافظ. (ت٦٨٠هـ). ينظر: الاعلام ١٨٩/٥.

(٣) ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٩٦/٣.

(٤) وهو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت ٢٠٧هـ)، ينظر: إرشاد الأريب ٢٧٦/٧ ووفيات الأعيان ٢٢٨/٢.

(٥) معاني القرآن للفراء ٤٦/٣.

(٦) ينظر: لسان العرب مادة (الشين المعجمة)، ١٧٦/٨.

(٧) ينظر: معجم الفروق اللغوية ٢٩٩/١

(٨) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٩٦/١.

(٩) سورة المائدة من الآية ٤٨.

(١٠) ينظر: تفسير القرطبي ٢١١/٦.

المبحث الثاني

مُوجِبَاتِ الهَلاَكِ والنَّجاة

انتهج القران الكريم منهجاً واضحاً في الحثّ إلى معرفة التاريخ وأحداثه وأيّامه، ومعرفة أحوال الأمم السالفة والتَّبصُّر بعَواقبهم. وذلك لأنَّ معرفة التاريخ الإنسانيّ والقصص، فيه من العِبَرِ والدُّروس والعظات ما يجعل من ذلك معتبراً وإصلاحاً للمستقبل القادم- بإذْن الله.

إنَّ القُرآن يُطالب المسلم بالمعرفة الثقافيَّة التاريخيَّة، والتي أَوْلاها القُرآن قِسْطًا كبيراً من العرض المتمثِّل في القصة القُرآنيَّة والمنهج الذي انتهجه في السرد والعَرض، ليُوسِّع الإنسان آفاقه، ويطَّلع على أحوال الأمم، وتقلُّبات الأيَّام بها وبهم، ويستبصرُ بالسُّنن الربانيَّة الجارية في الكون وأحداثه ووقائعه، وحتى يعلَمَ عواملَ قِيام الأمم، وأسباب سُقوطها وإهلاكها، وكيف أنَّ الحقَّ دائم وخالد وباقٍ مهما علا صوتُ الباطل وانتفش رِيش جَناحَيْه[1].

فلم يأتِ القرآن الكريم ليكون كتاباً يُقرأ ويُترك على الرفوف بقدرِ ما هو عِلمٌ وعَملٌ، ومنهاجٌ يجب أنْ يتبع، فمن خلال منهج القرآن الكريم، يتضح لنا جلّياً أنه يُصَوّر لنا مَشاهد متكاملة لكل حدثٍ معيّن، من خلال الأعمال التي تُقْتَرَف من قِبَلِ الفَردِ أو المجتمع وتعكس بِظِلاَلِها على الأمّة، وهي تُستدرج بشكلٍ أو بآخر نحو الهاوية، حيث ذكرها الله تعالى من خلال ما قصّه على نبينا الخاتم ﷺ من الأمّم الغابرة، مرشداً ومحذراً من الوقوع فيها.

- **المطلب الأول: موجبات الهلاك:**

نلاحظ من منهج القرآن الكريم في ذكره الأحداث عن الأمم الغابرة، أنَّه ذكر الأسباب الرئيسية الموجبة لهلاكهم، منها:

١. الإشراك بالله:

من خلال السياق القرآني تبين إنّ كلّ نبيّ كان يدعو قومه بالدعوة نفسها وهي: لا إله إلا الله-، كقوله تعالى على لسان سيّدنا نوح (عليه السلام): ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ

(١) ينظر: مجالات الدعوة في القرآن الكريم وأصولها - مقال/ https://www.alukah.net/sharia

إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾[١]، وقوله تعالى على لسان سيّدنا هود (عليه السلام) ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ﴾[٢]، وكذلك قوله تعالى على لسان سيّدنا شُعيب (عليه السلام) ﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ ﴾[٣]، فالملاحظ أنّ دعوة الأنبياء في توحيد الله تعالى ثابتة، واستمرارية دعوتهم في الإشراك بالله تعالى، بأي شكلٍ من الأشكال في عبادته، وجاء الإسلام مكمّلاً لدعوة الأنبياء فكَفَرَ بكل آلهة غير الله، لذا تأتى شهادة الإسلام (الواحدة) لتقول بأسلوب القصر والحصر(لا اله إلا الله)، أي: ليس هناك إلهٌ يُعبد سوى الله تعالى. لأن العبادة تقتضي استقبال منهج الله بأن يطيع أوامره، ويجتنب نواهيه[٤].

والمتأمل لا يخفى عليه إذا ما تأمل بأدنى فكرة بمضمون الآيات، التي تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخير الله ومصَرّفة بمقتضى تدبيره، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴾[٥]، ولهذا بُعث الأنبياء صلوات الله عليهم لدعوة الخلق إلى التوحيد ليقولوا لا إله إلا الله[٦]، وقد بَيّن الله تعالى ذلك في آيات عدّة منها على لسان سيدنا يوسف (عليه السلام)، قال تعالى:﴿ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[٧]، لما ذكر ما هو عليه من الدين الحنفي تلطف في حسن الاستدلال على فساد ما عليه قومه من عبادة الأصنام، فناداهما باسم الصحبة في المكان الشاق الذي تُخلص فيه المودة وتتمخض فيه النصيحة[٨].

٢. الإعراض عن دعوة الحق:

نجد أنّ الإعراض عن الدعوة والداعي، هو السِمَة المتفشيّة في أغلبِ المجتمعاتِ التي يتم توجيهها إلى

(١) سورة الأعراف الآية ٥٩.

(٢) سورة هود الآية ٥٠.

(٣) سورة هود من الآية ٨٤.

(٤) ينظر: تفسير الشعراوي- الخواطر للإمام محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم ٦٢٤٩/١٠.

(٥) سورة ابراهيم الآية ١٠

(٦) ينظر: قواعد العقائد (بتصرف يسير) ١/ ١٥١-١٥٢.

(٧) سورة يوسف الآية ٤٠.

(٨) ينظر: التيسير في احاديث التفسير٢٩١٠٢٩٢/٥. والبحر المحيد في التفسير ٢٧٨/٦.

تصحيح مسارهم من قبل المصلحين ناهيك عن الرسل والانبياء، فنذكر هنا نماذج بيَّنها القرآن الكريم على سبيل المثال:

- سيدنا نوح (عليه السلام) كان يدعو قومه بالدعوة نفسها- لا اله إلا الله- فيرفض الملأ، ويؤمن الأقلية، وأكثرهم مستضعفون، ولا يلبث الشيطان أن يضل الذرية فيعود تأليه وتقديس البشر، وهكذا كلمّا يأتي نبيّ جديدٌ لقومٍ مستخلفينَ يذكّرهم بما حَلّ بالسابقين من قبلهم فيُجابهُ بالإعراض والتنكيل، إذن فهو منهج مُوحَّد عند جميع الرسالات[١]

- قوم عاد: تذكيرهم أيضاً بنعمةِ الله تعالى عليهم، حيث قال تعالى :﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۡۖطَةٗۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[٢] ، وجَرَتِ العادةُ برفضهم لعبادة الله تعالى وحده وتمّسكهم بعبادة ما وجدوا عليه آباءهم ويزيد عنادهم وإعراضهم عن ذلك بطلب استعجالهم العذاب حيث يخبرنا الله تعالى بقوله: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَاۖ فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[٣]. هنا ينتهى الأمر بهلاكهم. وفي ذكر إجابة الأنبياء الكفرةَ عن كلماتهم الحمقاء بما أجابوا به والإعراض عن مقالتهم: كمال النصح والشفقة، وهضم النفس، وحسن المجادلة، وهكذا ينبغي لكل ناصح، وفي قوله: ﴿ وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٞ ﴾[٤]، تنبيه على أنهم عرفوه بالأمرين.[٥]

- قومُ ثمود: يذكّرهم نبي الله صالح (عليه السلام) بما حدث من هلاك لقوم عاد ويرشدهم إلى توحيد الله تعالى، ويبين بعض نعم الله تعالى عليهم ﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾[٦].

- قوم مدين: ونبي الله شعيب (عليه السلام) يسير على ما سار اخوانه الأنبياء والمرسلين من قبل، فيذكّرهم بما حدث للسابقين ﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴾[٧]، ويردّون عليهم بنفس ما كانت عليه الأقوام السابقة، إلا أنّ الصورة تختلف، ففيها الغِلظة والتهديد لنبي الله ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ

(١) ينظر: تفسير الشعراوي ١٠٠٢٤/١٦
(٢) سورة الأعراف من الآية ٦٩
(٣) سورة الأعراف من الآية ٧٠
(٤) سورة الأعراف من الآية ٦٨
(٥) ينظر: البحر المديد في تفسير القران المجيد ٢٣٠/٢
(٦) سورة الأعراف من الآية ٧٤
(٧) سورة هود الآية ٨٩

لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾[1] أي: ما نفهم، كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا، وذلك أنه كان ضرير البصر، فأرادوا ضعف البصر، ولولا رهطك، عشيرتك وكان في منعة من قومه، لرجمناك، لقتلناك. والرجم: أقبح القتل. وما أنت علينا، عندنا، بعزيز.[2]

- فرعون الطاغية وقومه: نرى مؤمن آل فرعون يَعِظُ قومه ويذكّرهم بما حَدَثَ من هلاكٍ للسابقين ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾[3] ، إلا إنّ الردَ يبقى، وهو الإعراض والإمتناع عن اتباع الهدى الذي جاء به الأنبياء والمرسلين فيحاججهم الله تعالى على ذلك ويعترفون حيث قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾[4] وفي قوله» يا قوم» دليل على أنه قبطيٌّ، ولذلك أضافهم إلى نفسه فقال:» يا قوم» ليكونوا أقرب إلى القبول والعِظة [5]، إلاّ أنهم امتنعوا عن الهدى.

إذاً هكذا كان اسلوبهم في الاعراض عن قبولهم دعوة الحق، فالإعراض كان طريقاً اتخذته الامم الهالكة لردّ الحق والطعن في دعوة المرسلين.

٣. اتباع أئمة الضلال: ومن الإطلاع على أخبار الأمم السابقة في القران الكريم يتبين مجادلةَ الأقوام لأنبيائهم وبأنهم مقلّدون لآبائهم واسلافهم، تقليدَ الأعمى غير المُبصرِ لحقيقةِ الوجود، فقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾[6]، ونجد أيضا أنّ أئمة الضلال من الأقوام الغابرة كقوم نوح وقوم فرعون، يثيرون الشبهات حول دعوة الأنبياء لِما تمليه عليهم أنفسهم من التقليد لأسلافهم، وبتأثيرهم المباشر على الفرد والمجتمع، ونلاحظ من قصة سيدنا نوح (عليه السلام) تلك الشبهات التي اثاروها فكانت[7]:

---

(١) سورة هود الآية ٩١.
(٢) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن ٤٦٣/٢
(٣) سورة غافر الآيات ٣٠-٣٣
(٤) سورة غافر الآية ٥٠
(٥) ينظر: تفسير القرطبي ١٥:٣١٠
(٦) سورة الزخرف الآية ٢٣
(٧) ينظر: القصص القرآني في سورة هود – دراسة موضوعية (بتصرف يسير) ص١٩.

أ. أنه بشرٌ مثلهم: إنّ التفاوت الحاصل بين آحاد البشر يمتنع انتهاؤه إلى حيث يصير الواحد منهم واجب الطاعة لجميع العالمين[١]. إن الشبهة التي وقرت في نفوس جُهّالِ البشر أنَّ الجنس البشري أصغر من حمل رسالة الله فإنْ تكن رسالة فيحملها مَلَكٌ أو مَخلوقٌ آخر، فهي شُبهة جاهلة مصدرها عدم الثقة بهذا المخلوق الذي استخلفه الله في الأرض[٢]، فقالوا: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا ﴾[٣]، تعريض بأنهم أحق منه بالنبوة وأنَّ الله تعالى لو أراد أن يجعلها في أحداً من البشر لجعلها فيهم[٤].

ب. ضِعافُ الرأي متّبعيه:

عندما يطبق الجهل على العقل فإنه يتمسك بأي حجة لإظهار الانتقاص من الآخر، فقد وصف تعالى ذلك بقوله: ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾[٥]،كونه ما اتَّبعهُ إلا أراذل من القوم، قالوا: ولو كنت صادقاً لاتبعك الأكياس من الناس والأشراف منهم[٦] وكان هذا جهلاً منهم، لأنهم عابوا نبي الله ﷺ بما لا عيب فيه، لأن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، إنما عليهم أن يأتوا بالبراهين والآيات، وليس عليهم تغيير الصور والهيئات، وهم يرسلون إلى الناس جميعا، فإذا أسلم منهم الدنيء لم يلحقهم من ذلك نقصان، لأن عليهم أن يقبلوا إسلام كل من أسلم منهم.[٧]

(وهذه تهمة توجه دائماً من الملأ العالين لجموع المؤمنين، إنها لا ترى ولا تفكر في إتباع الدعوات ومن ثمّ فهي متهمّة في إتباعها واندفاعها، ولا يليق بالكبراء أن ينهجوا نهجاً ولا أن يسلكوا مسلكها فان كان الأراذل يؤمنون فما يليق إذا بالكبراء أن يؤمنوا إيمان الأراذل ولا يدع الأراذل يؤمنون)[٨]، وقوله تعالى : ﴿ بَادِيَ ٱلرَّأْيِ ﴾ [٩]، أي ظاهر الرأي وباطنهم على خلاف ذلك، أي: اتبعوكَ حين ابتدأوا ينظرون ولو أمعنوا النظر والفكر لمْ يتبعوك.[١٠]

---

(١) ينظر: التفسير الكبير ١٦٩/١٧

(٢) في ظلال القران ٥٣٩/٤

(٣) سورة هود الآية ٢٧

(٤) ينظر: تفسير الكشاف ٢٦٥/٢

(٥) سورة هود من الآية ٢٧

(٦) ينظر: التفسير الكبير= تفسير الرازي ١٦٩/١٧

(٧) ينظر: الجامع لإحكام القران ٢٢/٥

(٨) في ظلال القران ٥٤٠/٤

(٩) سورة هود من الآية ٢٧

(١٠) ينظر: الجامع لأحكام القران- تفسير القرطبي ٢٣/٥

وهذا الإتباع لأئمة الضلال من عامّة قومهم، دليلٌ على جَهلِهم وقلّة عِلمهم، فهم يسيرون خلف ما يُملي عليهم أئمتهم، فالصحيح ليس بعارٍ على الحق رَذَالة من اتبعه، فإنَّ الحق في نفسه صحيح، وسواء اتبعه الأشراف أو الأراذل، بل الحق الذي لا شَكَّ فيه أن أتباع الحق هم الأشراف، ولو كانوا فقراء، والذين يأبونه هم الأراذل، ولو كانوا أغنياء. ثم الواقع غالباً أن ما يتبع الحق ضعفاء الناس، والغالب على الأشراف والكبراء مخالفته[١].

ج. نكران الفضل:

يبدوا أنّ مقياس التفاضل أنْ يكون ظاهراً للعيان بالنسبة لمثيري الشبهات، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾[٢]، واصِفاً النظرةَ التي يَتّم قياس التفاضل عليها، والمعنى (لا نرى لكم علينا من فضلٍ لا في العقلِ ولا في رعايةِ المصالحِ العاجلة ولا في قوة الجدل، فإذا لم نشاهد فضلك علينا في شيء من هذه الأحوال الظاهرة فكيف نعترف بفضلك علينا في أشرف الدرجات وأعلى المقامات)[٣]، وهذا ما بينه تعالى على لسان سيدنا نوح (عليه السلام) :﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾[٤]، يا قوم فيه سماحة ومودة بندائهم نسبتهم إليه إن كان الله آتاني رحمة من عنده، وآتاني من الخصائص ما استحق به من حمل الرسالة فإنْ خُفيتْ عليكم خفاء عماية لأنكم غير متهيئين لإدراكها[٥].

د. استخفافهم بالمؤمنين:

ومن استخفافهم الذي وصلوا إليه بالمؤمنين وجهلهم المطبق، أنّهم طلبوا طرد الذين اتبعوه، حيث ردّ عليهم نبي الله، فقال تعالى على لسانه:﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾[١]، وهنا طلبوا منه طردهم لأنه كالدليل على أنهم كانوا يقولون: لو اتبعك أشراف القوم لوافقناهم، وهنا رأى سيدنا نوح (عليه السلام) أنَّ كلامهم لا يتجه إلى العقلانية، فقال:﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾[٦] تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم أراذل، أو تجهلون لقاء ربكم أو أنهم خير منكم[٧].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير ٢٧٤/٤

(٢) سورة هود الآية ٢٧

(٣) التفسير الكبير ٢١١/١٧

(٤) سورة هود آية ٢٨

(٥) ينظر: في ظلال القران ٤٢٧/٤

(٦) سورة هود من الآية ٢٩

(٧) ينظر: تفسير النسفي- مدارك التنزيل وحقائق التأويل ١٤٢/٢.

مما تقدم تبيَّن لنا أنّ لأئمة الضلال تأثيراً واضحاً على المجتمع، ما إن تَصدروا المشهد إلا ويتكلمون بلسان قومهم في القبول أو الإعراض، مِمّا أنعكس سلباً على هداية الناس، تَكبراً منهم وعِناداً وجِهلاً، فحالوا بَينَ الدعوةِ وبني قومهم من إعلان اتباعهم لأنبيائهم فخسروا الدنيا والاخرة.

وهذا الإتباع مِنْ عَامّة قومهم دليلٌ على جَهلهم وقِلّة عِلمهم وعَقلهم، فهم يسيرون خَلفَ ما يُملي عليهم أئمتهم، فالصحيح ليس بعارٍ على الحق رَذَالة من اتبعه، فإن الحق في نفسه صحيح، وسواء اتبعه الأشراف أم الأراذل بل الحق الذي لا شك فيه أن أتباع الحق هم الأشراف، ولو كانوا فقراء، والذين يأبونه هم الأراذل، ولو كانوا أغنياء. ثم الواقع غالبا أن ما يتبع الحق ضعفاء الناس، والغالب على الأشراف والكبراء مخالفته[١]، وهو ما نلاحظه اليوم في مجتمعاتنا الكثير ممن يشوهون طريق الهداية بإثارة الشبهات حوله.

٤. الفساد[٢]: إنّ شيوع الفساد بكافةِ اشكالهِ وصورهِ لا يَتغيُّر بتغيّرِ الزمن ما دام هناك من يتبناه بشكل أو بآخر، فقد أشار القران الكريم إلى أنّ من أهم الأسباب الموجبة لهلاك أيّ أمّة، هو من يسعى اليه، حيث قال تعالى:﴿ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾[٣]، وما إن يكَثُرَ أهلُ الفساد غَلبوا، وقلّ أهل الصَلاح وفُقِدوا، فعند ذلك يغمر الله الخلق ببلائه، ولا يكون للناس ملجأ من أوليائه ليتكلموا في بابهم، ولا فيهم من يبتهل إلى الله فيسمع دعاؤه، فيخترم أولياءه، ويبقى أرباب الفساد، وعند ذلك يشتدّ البلاء وتعظم المحن[٤].

ويبقى القرآن الكريم يسترسل معنا وبيّن سبب الفساد ومصدره، محذراً ومنبهاً منه، فقال تعالى:﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾[٥]، وفي صور الفساد هنا أقوال عدّة،: أحدها: نقصان البَرَكة، والثاني: ارتكاب المعاصي، والثالث: الشِّرك، والرابع: قحط المطر[٦].

٥. جَحْدُ النعمة:

لم يترك القران الكريم سبباً فيه لَبسٌ إلاّ وبيّنهُ بكل أشكاله وأنواعه من أجل تفاديه، وهنا يأتي الجحود في إنكار المنعم سبحانه وتعالى من خلال إنكارها للنِعَم التي كانوا يتمتّعونَ بها، منها، قوله تعالى:﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ

(١) ينظر: تفسير ابن كثير ٢٧٤/٤

(٢) الفساد : نقيض الصلاح، أي ضدّه ، ينظر: العين ٢٣١/٧، لسان العرب ٥١٦/٢

(٣) سورة المائدة من الآية: ٦٤

(٤) ينظر: لطائف الاشارات= تفسير القشيري ٣٤١/٢

(٥) سورة الروم الآية ٤١

(٦) ينظر: زاد المسير في علم التفسير ٤٢٥/٣

لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾[١]، ابتلوا بالجوع سبع سنين حتى أكلوا العظام المحرقة والجيف[٢]، (سماه لباساً لأنه يظهر عليهم من الهزال وشحوبة اللون وسوء الحال ما هو كاللباس. بما كانوا يصنعون، أي: من الكفر والمعاصي)[٣].

٦. مخالفة سنن الأنبياء:

إنَّ المتتبع لآيات القران الكريم يجد التحذير الشديد من مخالفة الأقوام لأنبيائهم، لِما له من التأثير المباشر على وجوب هلاكهم بتكذيبهم إيّاهم تارةً، فهذا نبي الله نوح عليه وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام عندما كَذّبَهُ قومه كانت النتيجة أنْ أهلكهم الله قال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴾[٤].

وكذلك ما بَيّنه الله تعالى من مخالفة نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) تارةً أخرى، حيث قال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٥]، وهذا يدّل على أن المخالفة للأنبياء معصية عظيمة، وفي هذه الآيات دلائل على أن من ردّ شيئاً من أوامر الله أو أوامر الرسول ﷺ فهو خارج عن الإسلام، سواء رده من جهة الشك أو من جهة التمرد[٦]، ومن الملاحظ إنّ أمان الأمة هي باتباع ما جاء به النبي الخاتم (عليه الصلاة والسلام) فهو الدليل القطعيّ على حبهِ وعدم مخالفته فيما أمر أو نهى، فبيّن الله تعالى ذلك، فقال: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٧]، فهذا الاتباع بتلك الروح تُجسّد حقيقة أمان لهذه الأمة إلى أنْ يرثَ الله الأرض ومَنْ عليها، حيث قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[٨]

ثانياً: موجبات الهلاك الحتميّة: مما أوردته آيات القرآن الكريم، يتضح المنهج في كيفيّة هلاك أيّ أمّة، حيث نستطيع استخلاصها هنا على وجه الاسترسال، منها:

---

(١) سورة النحل الآية ١١٢

(٢) ينظر: معاني القران للفراء ١١٤/٢.

(٣) تفسير القرطبي ١٩٤/١٠.

(٤) سورة الأعراف الآية ٦٤

(٥) سورة النور من الآية ٦٣

(٦) ينظر: مفاتيح الغيب- تفسير الرازي ١٢١/١٠

(٧) سورة آل عمران الآية ٣١

(٨) سورة الانفال الآية ٣٣

أ. الجهل في فهم القرآن الكريم والسُّنة النبويَّة.
ب. ترك الجهاد والخلود إلى الأرض، بترسيخ حُب الدنيا وكراهية الموت.
ج. ترك الأمر بالمعروف والنهي على المنكر، وقصر ذلك على دعاة الأمّة دون غيرهم.
د. انتشار الفواحش والزنا والظلم في المجتمعات حتى يكون كالأمر المباح.
هـ. توسيع دائرة التعامل بالربا ونشر القروض الربوية.

نلاحظ أنّ العنصر الأساسي لهدم أي حضارة أو مجتمع أو أمّة هي الابتعاد عن دين الله تعالى وسنة انبيائه (عليهم الصلاة والسلام) الذين بعثهم الله تعالى ليعودوا بالبشرية إلى الفطرة السمحة التي فُطروا عليها، فهذا ما بَينّه تعالى فقال: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1] أي: لا تبدلوا فطرة الله، ودعوا الناس على فطرتهم، كما ثَبُتَ في الصحيحين عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه)[2].[3]

- **المطلب الثاني: موجبات النجاة**

إنّ أيّ أُمّة تسعى إلى خلود حضارتها والحفاظ على آثارها وَجَبَ عليها بيان نهجها النظريّ والسلوكيّ القويم ليكون هو الأصح على الاطلاق، إلا أنّ جميع الأمم اندثرت حضارتها وغابت آثارها بمجرد انقضاء آجالهم وذلك لاستمدادهم تعاليم حياتهم من الضلال وعدم البحث عن نور الهداية وكذلك اقتصارهم على ما تمليه اهواؤهم.

وما ينتج عن ذلك إلاّ الظلم والمكر والتكذيب، وجاءَ القران الكريم يبين أنّ من اتبع منهجه القويم فهو المهتد ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾[4]

ومَنْ كان على غير ذلك معرضاً عن نور الهداية يكون سبباً كافياً ليختم الله به على أيّ أمّة تسعى إلى طريق الغيّ، حيث قال تعالى ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[5].

---

(١) سورة الروم الآية ٣٠
(٢) اخرجه البخاري في صحيحه ٩٤/٢ برقم ١٣٥٨، ومسلم في صحيحه ٢٠٤٧/٤ برقم ٢٦٥٨
(٣) ينظر: تفسير ابن كثير ٤١٦/٢
(٤) سورة طه من الآية ١٢٣
(٥) سورة الروم الآيتين ٥١-٥٢

وبعد تتبع آيات القرآن الكريم، وهي تسرد لنا قصص الأمم الغابرة، نراها ترسم لنا طريقاً واضحاً لتلافي أي سبب يوجب الهلاك والسقوط في الهاوية. ونبين هنا منهج القران الكريم وسعيه الى الصلاح والفلاح وتلافي الهلاك.

أولاً: منهج القرآن في الارتقاء بالمجتمعات والأمم: من خلال الاستقراء الكلي، وما عرضته آيات القرآن الكريم ومنهجه في إصلاح البلاد وكذلك نفوس العباد، لحمل الرسالة التي أرادها الله تعالى فإننا نستعرض هنا أهمها:

١. توحيد الله: سبق وان تحدثنا بأن رسالة الانبياء والمرسلين موحدة، وهذا هو نهج القران الكريم في إرشاد الناس إلى عبادة الله وحده وعدم الاشراك به بأي صفة أو شكل من الأشكال، حيث قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[١] أي: وحدوه واجتنبوا الطاغوت وهو الشيطان فمنهم من هدى الله أي: أرشده ومنهم من حقت عليه الضلالة أي: وجبت في سابق علم الله، فأعلم الله عز وجل أنه إنما بعث الرسل بالأمر بالعبادة، وهو من وراء الإضلال والهداية، فسيروا في الأرض أي: معتبرين بآثار الأمم المكذبة[٢].

هكذا استبان لنا بأن دعوة الأنبياء والمرسلين الرئيسة هي عبادة الله وحدة، إلّا أنهم قد يُقابَلوا بالمجادلة والسخرية تارةً، فنلاحظ مثلاً قصة سيدنا إبراهيم (عليه السلام) عندما يُحاججهُ قومه، كانت صيغته بالرد، عليهم: ﴿ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ۚ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾[٣]، أي: خاصمه وجادله قومه في دينه، يقول: أتجادلونني في توحيد الله، وقد هداني للتوحيد والحق؟ ولا أخاف ما تشركون به[٤]، عندها لا ينفع الذين ظلموا عذرهم، ولا يطلب منهم العتبى والرجوع إلى الدنيا، كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون توحيد الله.[٥] وما يندرج تحتها من أوامر الدين كالصلاة والزكاة والصوم والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدقة .. إلخ، من الأعمال التي توجب تحويل الأوامر النظرية إلى سلوكيات تنفع النفس والمجتمع.

---

(١) سورة النحل الآية ٣٦

(٢) ينظر: زاد المسير في علم التفسير ٥٥٩/٢

(٣) سورة الأنعام من الآية ٨٠

(٤) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن- تفسير البغوي ١٤٠/٢

(٥) ينظر: المصدر نفسه ٥٨٣/٣

من هنا يتبين أن منهج القرآن الكريم يرسم لنا الطريق، فأمّا أنْ تصل بعبادتك لله وحده، إلى أعلى مراتب الإيمان والقرب منه، لتستحق بذلك خلافة الأرض- لأن الإيمان المطلق بالله تعالى وتوحيده يتحتم عليك اتباع ما أمر واجتناب ما نهى- وأمّا أنْ تصل بإعراضك عن نهجه القويم إلى الهاوية باتباعك لمراد الشيطان وهواك، بعصيانك لأوامره تعالى.

٢. عدم اتباع الهوى: انتهج القران الكريم أسلوب التحذير للمنع في الوقوع بالمهلكات العامة للمجتمع، وهنا يحذر من اتباع الهوى لما يسببه من مَيل عن الحق، وذلك لأن الهوى يدعو إلى الاستغراق في اللذات الجسمانية، فيشغل عن طلب السمو للروح، التي هي الباقيات الصالحات، فمن ضل عن سبيل الله، الذي هو اتباع دلائل الحق، أو اتباع الحق نفسه ، وقع في سبيل الشيطان، بل في حفرة النيران والحرمان، ولذلك قال تعالى موصيا سيدنا داوود (عليه السلام) على مستوى الحاكم، فقال: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴾[١] ، أي: جعلناك أهل تصرف نافذ الحكم في الأرض، كمن يستخلفه بعض السلاطين بالحكم العدل المنزل من عندي، والذي شرعته لعبادي لما فيه من المصلحة لهم في الدنيا والآخرة، وبه يكون الحاكم عادلًا لا جائرًا[٢]. قال الشعبي[٣]: أخذ الله عز وجل على الحكام ثلاثة أشياء: ألا يتبعوا الهوى، وألا يخشوا الناس ويخشوه، وألا يشتروا بآياته ثمنا قليلاً[٤]، لأن الأحكام إذا كانت مطابقة للشريعة الحقّية الإلهية، انتظمت مصالح العالم، واتسعت أبواب الخيرات على أحسن الوجوه، أما إذا كانت أحكام السلطان القاهر على وفق هواه، ولطلب مصالح دنياه عظم ضرره على الخلق، فإنه يجعل الرعية فداء لنفسه، وذلك يفضي إلى تخريب العالم، ووقوع الهرج والمرج في الخلق، وذلك يُفضي إلى هلاك الملك، ثم أكد ما سلف بالنهي عن ضده، فقال: {وَلا تَتَّبِعِ} يا داود {الْهَوى}؛ أي: ما تهواه النفس، وتشتهيه في الحكومات وغيرها من أمور الدين والدنيا، وفي هذا إرشاد لما يقتضيه منصب النبوة، وتنبيه لمن هو دونه من الولاة والقضاة ومسيري شؤون الرعية لسلوك هذا الطريق القويم من الفرد والمجتمع، فيكون الهوى أو اتباعك للهوى سببًا لضلالك عن دلائله، التي نصبها على الحق تكوينًا وتشريعًا.[٥]

---

(١) سورة ص الآية ٢٦

(٢) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ٢٣-٢٤/ ٣٥٠

(٣) وهو عطية بن سعد بن جنادة العوفيّ الجدلي القيسي الكوفي، أبو الحسن، من التابعين (ت: ١١١هـ). ينظر: الطبقات الكبرى : ٣٠٥/٦. وسير أعلام النبلاء : ٣٢٥/٥.

(٤) الجامع لأحكام القران ٤١٣/٥

(٥) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ٢٣-٢٤/ ٣٥٠

٣. عدم التنافس في الدنيا: حث القران الكريم بآيات عدّة وهو يحذر من عدم الركون الى الدنيا والرغبة فيها، والمغالبة عليها، وحب التفاخر والتكاثر وبين حقيقتها، فقال تعالى: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[1]، فجعل العقل ميزان التدبر والإدراك، وكذلك حَذّر النبي ﷺ من الأمر نفسه باحاديث عدّة منها: عن عمرو بن عوف الأنصاري (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتها، فسمِعَت الأنصار بقدوم أبي عبيدة، فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ، فلما صلى رسول الله ﷺ انصرف فتعرضوا له، فتبسم رسول الله حين رآهم، ثم قال: (أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين؟»، فقالوا: أجل يا رسول الله، قال: «فأبشروا وأمّلوا ما يسرُّكم، فوالله! ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تُبْسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم)[2]، وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) عن رسول الله ﷺ قال: إذا فتحت عليكم فارس والروم؛ أي قوم أنتم؟، قال: عبد الرحمن بن عوف: كما أمرنا الله، قال رسول الله ﷺ: (أو غير ذلك، تتنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون، ثم تتباغضون).[3]

اذا فحقيقة الدنيا هي كما اعلمنا بوصفها تبارك وتعالى فقال: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾[4].

إذاً عدم التنافس على الدنيا وجعلها في كَفّ أي مسلم منّا والعمل من أجل الآخرة، يضفي بضلاله على المجتمع وبالتالي على الأمّة فتنجوا، باعتبار إنَّ الزاهد فيها لا يلتفت إليها إطلاقاً، فهو يطلب الآخرة والعمل من أجل الظفر برضوان الله تعالى.

٤. العدل: ترشدنا آيات القران الكريم إلى الداعم الأساسي لنجاة أيّ أمّة من الهلاك وخلق الفوضى، وهو غرس مفهوم العدالة بكل مفاصل الحياة- السياسية والإقتصادية والإجتماعية- لأن بالعدل تدوم الحياة و تزدهر، وما أنْ يستشري الظلم بين الناس حتى يحل بهم عذاب الله تعالى، حيث بيّن تعالى ذلك فقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[5]، وقد قالَ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي

(١) سورة الانعام الآية ٣٢
(٢) اخرجه البخاري في صحيحه، باب الجزية والموادعة مع اهل الحرب، ٩٦/٤ برقم ٣١٥٨
(٣) اخرجه مسلم في صحيحه، باب كتاب الزهد والرقائق، ٢٢٧٤/٤ برقم ٢٩٦٢
(٤) سورة الحديد الآية ٢٠
(٥) سورة هود اية ١٠٢

لِلظَّالِمِ، حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، ثم قرأ: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ} الآية»[١] وأن كل ما يأمر به الله وينهى عنه إنما يريد به الهداية، إلى ما يكمل الفطرة، ويتم به نظام الجماعة، فإذا ما فسق المجتمع عن أمره تعالى حل بهم البلاء، وكانوا هم الظالمين، لأنفسهم بتفرقهم، واختلافهم إلى نحو ذلك من الذنوب التي تفسد نظم المجتمع، وتجعل أهله في شقاء، ولا يحل عذاب بأمة إلا بذنب فشا فيها، فزحزحها عن الصراط المستقيم، كما قال تعالى: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ}.[٢] وما تزالُ آيات القرآن تبيَّن لنا ما تؤول إليه الأمة حال استشراء الظلم فيها، فقال تعالى: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾[٣] وكذلك قوله تعالى ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾[٤].

٥. التوبة والاستغفار: إنّ من نِعَم الله تعالى على البشرية أنْ بَيّن لها طريق الهداية ودلّ عليه، فمن نعمه تعالى إن أرشدهم إلى ما يرتقي بهم لبناء مجتمع مسلم واعي، وبما أنّ النفس البشرية يغلب عليها طابع التصارع بين الهداية والضلال فإنها تقع بالخطأ فتذنب، وهنا يرشدنا تبارك وتعالى الى ديمومة التوبة والاستغفار ليرفع عنا مقته وعذابه، فقد قال تعالى:﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[٥]، ويتمخض من التوبة الاستغفار والشكر والدعاء، حيث نقل الإمام القرطبي في تفسيره كلاماً جميلاً، فقال ما نصه:(قال مكحول[٦]: أربع من كنَّ فيه كنَّ له، وثلاث من كنَّ فيه كن عليه، فالأربع اللاتي له: فالشكر والإيمان والدعاء والاستغفار، قال الله تعالى: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ﴾[٧]، وقال الله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[٨]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ﴾[٩]. وأما الثلاث اللاتي عليه: فالمكر

---

(١) اخرجه البخاري في صحيحه، برقم ٤٤٠٩، كتاب: التفسير، باب: قوله: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ ...}، ومسلم برقم ٢٥٨٣، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، عن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه).

(٢) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ٥٩/٥

(٣) سورة الحج اية ٤٥

(٤) سورة الحج الآية ٤٨

(٥) سورة الانفال اية ٣٣

(٦) وهو محمد بن عبد الله بن عبد السلام، أبو عبد الرحمن، المعروف بمكحول: حافظ للحديث، ثقة، ثبت.
ينظر: الاعلام ٢٢٣/٦

(٧) سورة النساء من الآية ١٤٧

(٨) سورة الانفال الآية ٣٣

(٩) سورة الفرقان من الآية ٧٧

والبغي والنكث، قال الله تعالى: ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴾[٣]، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾[٤]، أي: يشكر عباده على طاعته. ومعنى (يشكرهم) يثيبهم، فيتقبل العمل القليل ويعطي عليه الثواب الجزيل، وذلك شكر منه على عبادته)[٥].

ثانياً: موجبات النجاة الحتمية: من خلال استقراء الآيات القرآنية الدالة على النجاة، نلاحظ أنّه رسم لنا بعض الموجبات التي تقود الأمّة إلى النجاة ما أنْ شاعت فيها. مصرحاً في بعضها تارةً، أو بَينَ مضمونها تارةً أخرى، استطعت ان أستخلصها من بين تلك الآيات منها:

أ. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيما أمَر ونَهى سبحانه وتعالى ونبّيه الكريم ﷺ. ولهذا قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾[٦].

ب. العِلمِ والتعلّم بـ(القرآن الكريم والسنة النبوية) خاصةً، ومجالات العلوم الأخرى عامّةً، وإدراجها في خدمة المجتمع وتحصينه فكرياً ومعرفياً.

ج. التوكل على الله حق التوكل، في السعي لانشال المجتمع مما هو فيه وأنَّ الله لهادِ المؤمنين الصادقين إلى طريق الخير والرشاد، حيث قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٧].

د. تعزيز مفهوم – الجهاد- والدفاع عن المقدسات والدين، وتهيئة المجتمع (فكرياً ومعرفياً) فيما له وما عليه. وبيان فضل المجاهدين العاملين حيث قال تعالى:﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[٨].

---

(١) سورة الفتح من الآية ١٠
(٢) سورة فاطر من الآية ٣٤
(٣) سورة يونس من الآية ٢٣
(٤) سورة النساء من الآية ١٤٧
(٥) الجامع لأحكام القران ٤٢٦/٥- ٤٢٧
(٦) سورة التوبة من الآية ٧١
(٧) سورة الحج من الآية ٥٤
(٨) سورة النساء الآية ٩٥

هـ. إشاعة روح التسامح والإيثار بين الناس من خلال خُطب الجُمعة والقنوات المَسموعة والمرئية والمقروءة، لما لها من تأثير مباشر بالتوجيه بالإتجاه الصحيح. انطلاقا من قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[1].

و. عمل المؤسسات التربوية والتعليمية على تعزيز القيّم الإسلامية المثلى، من خلال التطبيق العملي لها، وادراجها ضمن المناهج الدراسية وورش العمل وكذلك عقد الندوات والمؤتمرات التي تصب في تعزيزها. من مبدأ التعاون على البر والتقوى ولهذا ارشدنا تعالى الى ذلك، فقال: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ ﴾[2].

❁ ❁ ❁

(١) سورة النحل الآية ١٢٥

(٢) سورة المائدة من الآية ٢

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ وصحبة أجمعين.

أما بعد؛ فإنّ القرآن الكريم يَعد المنهج المتكامل والصالحُ لكلِ زمانٍ ومكانٍ- وتلك أبرز حقائقه- فقد بَيّن لنا الله تعالى من خلال منهجه القويم من خلاله ـرحمةً مِنه بناـ ما ينفع الأمّة وما يَضرها على كافة الأصعدة، ناهيك عن الروح وكيف يسمو بها إلى أعلى مراتبها، إذْ أنّ الله خلق الخليقة لأجل غاية عظمى وهو توحيد الله تعالى وأنْ لا يُعبد سواه، حيث قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1]، وما يترتب على تلك العبادة من حمل الأمانة التي أَبَىَ خَلقٌ غير الإنسان حملها، لِمَا لها من رسالة بليغة وجِبَ عليه تبليغها، هنا يضع الله تعالى ضوابط ومنهاج للأمم والأفراد ما إنْ ساروا عليه حتى حققوا الغاية والمراد من خلقهم. ومن خلال ما تقدم فإنني استعرض أهم النتائج من خلال الآتي:

- ما لمسناه من منهجه القويم اتضح أنّهُ بَيّنَ سُبل النجاة بعد أنْ بَيّنَ أسباب الهلاك لتكتمل صورة المعادلة بإلزام الناس الحجة. وأنّ المحور الأساسي في فَهْمِ الوجود، هو معرفة المُوجِدِ سبحانه وتعالى وبالتالي يوجِب بعد الفَهم توحيدهُ بالعبادة.
- يبين لنا أن المنهج القرآني في عرض الأحداث والمألات، سَارَ على مسافة واحدة من جميع الأمم والشعوب دون تمييز بينهم فلم يفرق بين قوم نبي وآخر، حيث كان ميزان التفاضل هو اتباع ما جاء به الأنبياء والرسل فتنجوا الأمّة، وتهلك في حال عصيانها لهم.
- توحيد الله تعالى وعدم الاشراك به في العبادة بأي شكل من الاشكال، هو أهم وأعظم أسباب نجاة الأمّة، ولهذا جاء جميع الأنبياء والمرسلين بهذا المفهوم، وبذلك حذّر وأنذّر، ورغّبَ وبَشّر، لئلا يكون على الناس حُجّةً بعدهم.

وهنا تبيّنت لنا رَحمَة اللهِ تعالى مِن خلال بيان ما يُتبع فينجوا المجتمع ويوجب النجاة لهم، وما لا يُتبع لئلا يقع الناس فيه فيوجب الهلاك.

❁ ❁ ❁

(١) سورة الذاريات الآية ٥٦.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

- **إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**- لشهاب الدين، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، المحقق: إحسان عباس- دار الغرب الإسلامي، بيروت- ط١ ١٤١٤هـ

- **إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة**- لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان الشافعي (ت٨٤٠هـ)، تقديم: فضيلة الشيخ الدكتور أحمد معبد عبد الكريم، المحقق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.

- **تفسير القرآن العظيم** - لإسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ), تحقيق: محمد حسين شمس الدين. ط١- دار الكتب العلمية - بيروت لبنان ١٤١٩هـ ودار طيبة.

- **تفسير النسفي**- (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)- لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠هـ)- حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي- راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو- الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

- **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القران**- الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي- اشرف عليه وراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي- دار طوق النجاة، بيروت – لبنان- الطبعة: الأولى، ٢٠٠١ م.

- **التعريفات الفقهية**- لمحمد عميم الإحسان المجددي، دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ)- الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ

- **تنوير المقباس من تفسير ابن عباس**- لعبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) (ت ٦٨هـ) جمعهُ: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ) دار الكتب العلمية - لبنان

- **التيسير في احاديث التفسير**- لمحمد المكي الناصري (ت ١٤١٤هـ) دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان- الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ

- **الجامع لأحكام القرآن= تفسير القرطبي** – لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ)- تحقيق: أحمد البردوني و إبراهيم أطفيش- الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة- الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ

- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**-لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)- الناشر: دار الفكر – بيروت.

- **زاد المسير في علم التفسير** – لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ), تحقيق: عبد الرزاق المهدي. ط١ – دار الكتاب العربي – بيروت ١٤٢٢هـ.

- **العين**- لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت١٧٠هـ)- المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي- الناشر: دار ومكتبة الهلال.

- **العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي ومعالم منهجه الأصولي**- للدكتور : عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الله السديس، نشر البحث في مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٥٨، ١٤٢٠هـ.

- **صحيح البخاري**- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه- لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي - المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر - الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

- **صحيح مسلم**- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)- المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي- الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

- **في ظلال القران**- لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت ١٣٨٥هـ)- دار الشروق - بيروت- القاهرة- ١٤١٢هـ.

- **قواعد العقائد**- لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، المحقق: موسى محمد علي- الناشر: عالم الكتب – لبنان الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

- **القصص القرآني في سورة هود** – دراسة موضوعية: رسالة ماجستير- لمحمد هندي سليمان/ كلية الامام الاعظم (رحمه الله) الجامعة ١٤٣١هـ

- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**- لجار الله محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام شامل- دار الكتب العلمية - بيروت لبنان ١٤٢٧هـ.

- **لطائف الإشارات = تفسير القشيري**- لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت٤٦٥هـ) - تحقيق: إبراهيم البسيوني- الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر- الطبعة: الثالثة.

- **لسان العرب**- لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت - الطبعة: الثالثة - ١٤١٤هـ.

- **مختار الصحاح**- زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت٦٦٦هـ)

المحقق: يوسف الشيخ محمد- الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا- الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠ه

- **مجالات الدعوة في القرآن الكريم وأصولها** – (مقال)/ على شبكة الانترنت برابط

https://www.alukah.net/sharia

- **مجمل اللغة:** لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ) دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان- دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت- ط٢ - ١٤٠٦هـ

- **المحكم والمحيط الاعظم:** لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)- المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

- **معجم الفروق اللغوية-** لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)- حققه: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي- ط١، ١٤١٢هـ.

- **معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي-** لمحيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت ٥١٠هـ)- تحقيق عبد الرزاق المهدي- دار إحياء التراث العربي –بيروت - الطبعة: الأولى ، ١٤٢٠ هـ.

- **معاني القران-** لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت٢٠٧هـ) المحقق: أحمد يوسف النجاتي/ محمد علي النجار/ عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر.

- **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير:** لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)- دار إحياء التراث العربي– بيروت- الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠هـ.

- **وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان:** أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت ٦٨١هـ) المحقق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت